مدخل إلى الأدب المقارن -سنة ثانية ليسانس-.....(د.حميدة سليوة)

المحاضرة رقم 5:

المدرسة النقدية في الأدب المقارن(الأمريكية):

ساد المنهج التاريخي-الفرنسي- في الدراسات المقارنة قرابة قرن من الزمن، ومع سنوات الخمسين بدأت الآراء النقدية المعارضة تطاله من داخل فرنسا وخارجها، وهكذا بدأت الأطراف المعارضة تشكل توجهات خاصة بها داخل إطار الأدب المقارن، ولعل أشد موجة نقد تعرض لها التوجه الفرنسي كانت من أمريكا فيما يسمى بـ: أزمة الأدب المقارن، حيث تحولت هذه الانتقادات بالتدريج إلى توجه مستقل سمي بـ المدرسة النقدية(الأمريكية):« **إلى حدود سنة 1958، أي تاريخ انعقاد المؤتمر العالمي للأدب المقارن بشابل هيل، حيث ينازعها روني ويليك، هذا الامتياز، لصالح المدرسة الأمريكية**»[1]، وقبل هذا التاريخ كان هناك أدب مقارن وكفى في كل جامعات العالم، أما "ازمة الأدب المقارن" فقد ولد مسار جديد، فأصبح هناك منهجان: تاريخي فرنسي وبنيوي أمريكي.

1-ظروف النشأة:

كان انبثاق المدرسة الأمريكية نسبة إلى مكان إعلانها، والنقدية نسبها إلى روادها، والبنيوية نسبة إلى فلسفتها، في ظروف تاريخية واجتماعية أهمها أنها وجدت في بيئة قوامها:« **أمة منفتحة على العالم، تمنح كل ثقافة أجنبية نوعا من الود، مع وعيها التام بجذورها الغربية، ومبدأ فكري يفسح المجال للأمريكيين بإلقاء نظرات شاملة منذ العصور القديمة حتى القرن العشرين**»[2]، فحداثة الحضارة الأمريكية التي تشكلت من خليط متنوع من الأعراق والقوميات والثقافات يجعلها تتبنى الانفتاح وعدم المركزية ومبدأ إعطاء الفرص.

جاء ضمن فترة تاريخية شهدت تراجعا واضحا لفلسفات القرن 19، وفي المقابل استقبال أفكار وفلسفات جديدة، ومنها البنيوية التي أصبحت موجة عامة، اهتمت بأدبية الأدب وجماليته بعيدا عن البحث التاريخي الذي حول النصوص إلى وثائق تاريخية، وركز على عوامل خارج عن الأدب من الأسباب والمسببات، ثم المزاوجة بين عدة تخصصات والاستفادة من منجزات القرن العشرين.

وكانت هذه النقاط منطلق لميلاد توجه جديد في الدراسات أطلق عليه صفة"النقدي"، وكان هذا التوجه مرتبط بالتحولات المعرفية وبكل ما جلبه القرن العشرين من تطور في مجال النقد والدراسات الأدبية، سعت إلى دراسة النص الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته، أي الاهتمام بنصانية النص وجمالياته لا بتاريخيته

1-1-أزمة الأدب المقارن:

-ألقى التشيكي رونيه وليك محاضرته الشهيرة "أزمة الأدب المقارن" خلال فعاليات المؤتمر الثاني للأدب المقارن، بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1958، محاولا نقد مبادئ وأسس الأدب المقارن السائدة، ووجه كالفن وبراون نقدا مباشرا لكتاب غويار"الأدب المقارن":« **أنه يتخذ من الأدب الفرنسي محورا تدور حوله الآداب الأخرى تأثيرا وتأثرا**»[3]،

1-علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص61.

2- المرجع نفسه، ص 95.

3 - درويش(أحمد): نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2002، ص 28.

وهذه نزعة محورية لا تتفق مع الطابع العالمي للأدب المقارن- -النزعة المحورية والاندفاع بعوامل قومية، وهذا ما يتعارض مع عالمية وإنسانية الأدب.

-أما رينييه ويليك فقد كان اعتراضه الأساسي حول:« **المنهج التاريخي يوجه قدرا كبيرا من الاهتمام إلى الوسائط والعلاقات التاريخية بين أدب وآخر، وهو يفعل ذلك باعتباره جزءا من تاريخ الأدب**»[1]، عدم التركيز على العمل الأدبي بل على العلاقات التاريخية، حيث نالت الوسائط والعلائق التاريخية بأهمية تفوق العناصر الأدبية، وهو اعتراض وافق عليه بعض الفرنسيين أنفسهم أمثال إتيامبل، الذي يرى أن التطبيق الصارم للمنهج التاريخي خالي من الذوق، والمبالغة في اشتراط الصلة الأكيدة بين الآداب لإجراء المقارنة في التوجه التاريخي:« **يسقط الأدب المقارن في بحث الأحداث الجامدة، والمفاهيم الفاسدة، التاريخ الأدبي، واعتبارات العمل الفني، في علاقاته الخارجية**»[2]، وفي هذا إهمال لجوهر الأدب وقيمه اللغوية.

-كما كان لرونيه اتيامبل اعتراض كبير على شرط الصلات التاريخية التي تقصي ظواهر التشابه والتقارب:«**كثير من ألوان الإنتاج الأدبي العالمي يمكن أن يلمح بينها وجه التشابه وجال قوي للدراسة المقارنة دون أن تكون الوسائط وأسباب الاتصال التاريخي واضحة دائما**»[3]، فالكثير من أشكال الأدب تتشابه دون ثبوت تأثير أو تأثر بين الآداب المتقاربة، وهذا ما لاحظه ايتيامبل بين الشعر الرومنسي والشعر الصيني في عصر كيم يون.

وكان لهذا المقال -أزمة الأدب المقارن- ولذلك المؤتمر الأثر الكبير في مراجعة مرجعيات الأدب المقارن السائدة آنذاك، حمل أعلام المدرسة الأمريكية شعار التجديد في مناهج دراسة الأدب المقارنة، متخذين من نقد ومعارضة المدرسة التاريخية طريقة في صياغة أسس وأساليب البحث المقارن في الأدب، لهذا يمكن القول أن هذه المدرسة انبثقت من قلب المدرسة الفرنسية وعارضتها، وتهدف إلى تجديد الأدب المقارن وإعطاءه بعدا إنسانيا ينأ به عن الحدود اللغوية التي وضع فيها سابقا.

2-تعريف الأدب المقارن:

سار أعلام المدرسة الأمريكية على خطى ويليك ومنهم هنري ريماك في تعريفه للأدب المقارن الذي عرف الأدب المقارن فقال:« **هو دراسة الأدب بحيث تتعدى الدراسة حدود القطر الواحد، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية، وبين مجالي المعرفة والمعتقدات الأخرى كالفنون والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتة، والأديان من ناحية أخرى**»[4]، وهو بهذا يوسع مجال المقارنة الذي كان حصرا على الآداب فيما بينها، إلى المقارنة بين الآداب من جهة وأشكال التعبير الإنساني الأخرى كالفنون، وأنواع المعرفة الإنسانية كالفلسفة والتاريخ والأديان كذلك، مع عدم ذكر شروط اختلاف اللغة والاكتفاء بالاختلاف الثقافي "حدود القطر الواحد"، ولا شرط ثبوت العلاقة التاريخية بين الآداب، وهكذا حرر الدراسة المقارنة من الحدود اللغوية والفوارق العرقية والسياسية وبهذا يتحرر الدارس المقارن من قيود كثيرة منها الدراسات الأدبية/ الأدبية ويتوسع الموضع ليضم المقارنة مع الفنون ومجالات المعرفة المختلفة، والقيد الثاني هو شرط" اختلاف اللغة"؛ حيث أن هذا الشرط كان يستثني أي مقارنة بين أدبين مشتركين في لغة

1- المرجع نفسه، ص 29.
2-علوش (سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 62.
3-- درويش(أحمد): نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص 31.
4- وليك(رنييه): مفاهيم نقدية، تر: عصفور(محمد)، عالم العرفة، الكويت، 1987، ص 317.

واحدة، كالأدب الفرنسي والكندي المكتوب بالفرنسية مثلا، حيث أن التعريف السابق لا يشترطه إطلاقا بل يبقى على الاختلاف الثقافي بين الدول.

3-أهم المبادئ والأسس: - عدم التوقف عند تاريخ الأدب بل التوغل في جوهر النص الأدبي، بالاهتمام بالقيم الفنية للنص الأدبي، وإعطاء النقد الأدبي ونظرية الأدب دور في فعل المقارنة، « **يجب أن يكون الاهتمام الرئيسي للأدب المقارن سنكرونيا(متزامنا) وليس دياكرونيا(متعاقبا) شكليا وليس تاريخيا**»[1]، وبهذا يعطى للأدب المقارن استقلالية عن التاريخ الأدبي، ويقترب أكثر فأكثر من النقد ونظرية الأدب.

- إعطاء الأهمية الكبرى لجوهر النص الأدبي وبناؤه الداخلي

-عدم التمحور على الأدب القومي، وتقسيم الآداب إلى مركزية وهامشية، وهذا يجعل من الآداب مقسمة إلى طبقات، ويلغي هويات آداب كل ذنبها أنها ليست بالأوروبية ولا الفرنسية، لهذا فالتمحور حول الأدب الوطني يتنافى مع الأهداف العلمية للأدب المقارن .

-عدم اشتراط اختلاف اللغة بين الآداب لإجراء المقارنة فهذا يتنافى مع الكثير من الحالات الأدبية والثقافية كالأدب الأمريكي وهو مكتوب بالانجليزية، والأدب الأمريكي اللاتيني المكتوب باللغات الاسبانية والبرتغالية مع اختلافه الكبير مع آداب أوروبا.

-توسيع المقارنة لتشمل المقارنة بين الأدب من جهة وأصناف المعارف العلمية والفنية من جهة ثانية.

-عدم التأكيد على دراسات التأثير والانتباه إلى علاقات التشابه والاقتراب، مع عدم :« **انحصاره في دراسة آلية للمصادر والتأثيرات، وعلاقات الأسباب والمسببات والصدى، الشهرة، أو الاستقبال، المخصص لكاتب ما أو عمل ما، وكذا لما يطلق عليها الأسباب والنتائج المحددة، للانتاجات الأدبية**»[2]، فالمقارنة لن تستفيد أدبيا من إثبات الصلة التاريخية أو عدم إثباتها، لكن الأهم هو التشابه وخصائصه في كل أدب.

- عدم اشتراط ثبوت العلاقة التاريخية بين الآداب، وتوسيع مجال الأدب المقارنة ليشمل دراسة التشابه والاشتراك(الأدب العام)، وعدم حصره في دراسات التأثير والتأثر.

4- أهم الأعلام:

-رونيه ويليك René wellek

_هورست فرانز Horst Frenz

-جيان أورذني Gionorzini

-زبينيوك.فوجوفسكيZbigniew.K

-هنري ريماك. Remak

-إيتيامبل.

-فرانسوا جوست Francois jost

1- علوش (سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 68.
2-علوش (سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 61-62.